www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة

مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها

مجلة التراث

مجلة التراث مجلة دولية دورية محكمة يصدرها
مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها

العدد الثامن أوت 2013

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ديوان عبيد بن الأبرص بينَ تَحقيقَيْنِ

بقلم/ د. أحمد عبد الباسط

(معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة)

هُم ثلاثُ قاماتٍ في فنّهم: عَبِيدُ بنُ الأبرصِ، والمستعربُ تشارلز ليل، والدكتور حُسين نصّار.

أمَّا الأول فهو عَبيدُ بن الأبرص بن حَنْتمِ بنِ عَامرِ بنِ مَالكٍ ، شاعرُ بني أسدٍ بلا مُدافَع، وأحدُ شُعراءِ المُعلّقات، وأحدُ قدماءِ الشُّعراء الجاهليّين، جعلَه ابنُ سلامٍ الجُمحيُّ في الطبقةِ الرابعةِ مِن كتابِه، وقرنَه بطرَفةَ بنِ العبدِ، وعديِّ بن زيد، وعلقمةَ بنِ عبدةَ. كما وصفَه بالقدمِ، وأنّه: «عظيمُ الذِّكْرِ، عظيمُ الشُّهرةِ»[1]. وذهبَ أبو الفرجِ الأصفهانيّ إلى أنّه «شاعرٌ فحلٌ فصيحٌ مِن شُعراءِ الجاهليّة»[2].

اتفقَ الدارسون وجمهورُ النُّقّادِ على أنّ قيمةَ شعرِ عَبيدٍ تكمنُ مِنَ الناحيتَيْنِ: الفنيّة، والتاريخية.

أمَّا الناحيةُ الفنيّةُ فلأنه ينتمي إلى المرحلةِ الأُولى مِن الشّعرِ الجاهلي، ويُمثّل شعرُه مرحلةَ انتقالٍ بينَ الشعرِ البادئِ الذي لم تستوِ له القِيَمُ الفنيّة، وبينَ الشعرِ الناضجِ الذي نعرفُه.

وأمّا الناحيةُ التاريخيّة فلأنّه يلقي الضوءَ على كثيرٍ مِنَ الأحداثِ التاريخيّةِ الواقعة في شبه الجزيرةِ العربيّةِ في عصرِه[3].

١- محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني، ١٩٨٠م. ج١/ ١٣٨.

٢- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: علي السباعي وآخرين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ج٢٢/ ٨١.

٣- انظر تصدير ديوان عبيد بن الأبرص بتحقيق: حسين نصار. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ط١. ١٩٥٧م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلى الرغمِ مِن ذلك فقد قلَّ استشهادُ النحاةِ واللُّغويين بشعرِه، على عكسِ مَا نجدُه عند مُعاصرِيه مِن الشعراء الجاهليين واستشهاد اللغويين والنحاة بأشعارِهم.

ويمكنُ إرجاعُ السببِ في ذلك إلى الاضطرابِ الملحوظِ في شعرِه، وما شاعَ في بعضِه مِن غموضٍ، فضلًا عَنْ قلّةِ مَا رواهُ الرواةُ الأولون عنه. ولعلَّ ذلك هُو مَا كانَ يعنيه ابن سلام الجُمحي في قولِه عنه: «وشعرُه مضطربٌ ذاهبٌ»[1]، وهو السببُ الذي جعلَ أبا زيدٍ القُرشيَّ لم يذكره في الطبقةِ الأولى مع أصحابِ المُعلّقات، وإنما وضعه في الطبقةِ الثانية، وهُم أصحابُ المُجمهرات دونَ المُعلّقات[2].

ويمكنُ مُلاحظةُ ذلك الاضطرابِ ـ على سبيل المثال ـ في قصيدتِه المشهورةِ التي مطلعها:

* أقفرَ مِنْ أهلِه ملحوبُ *

التي أنشأها على وزنٍ نادرٍ غيرِ مألوفٍ آنذاك، وهو (مجزوء البسيط) أو مَا يُطلق عليه العروضيّون اسم (مُخلّع البسيط): مستفعلن فاعلن فعولن *** مستفعلن فاعلن فعولن. ونظرًا لغرابةِ هذا البحرِ، وقِدَمِ عهدِ عبيدٍ، وحداثةِ سنِّ الشعرِ العربيِّ في عصرِه، أثّر كلُّ ذلك تأثيرًا كبيرًا في عدمِ استقامةِ بحرِ القصيدةِ، وكثرةِ مَا أصابَها مِن زحافاتٍ وعِلَلٍ، وهذا يُلاحظ بوضوحٍ بدايةً مِن البيتِ الأوّل للقصيدةِ، حتى قيل عنها: إنّها لكثرةِ مَا دخلَها مِنَ الزحافِ والقطعِ كادت ألا تكونَ شعرًا[3].

وقد اختلفت الرواياتُ حولَ البدايةِ الحقيقيّةِ لإنشادِه الشعرَ، ودخلتها كثيرٌ مِن الخُرافاتِ والخوارقِ، وقد تكفّلَ بإيرادِها أبو الفرج الأصفهاني في أغانية[4]، وأشارَ إليها سريعًا عميد الأدب العربي طه حُسين في كتابِه (**الشعر الجاهلي**)[5].

١- انظر: طبقات فحول الشعراء، ج١/ ١٣٨.

٢- انظر: أبا زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي. القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٨١م، ص٣٤٧، ٣٧٩.

٣- انظر: ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: حسين نصار، ص٩.

٤- انظر: الأغاني، ج٢٢/ ٨١- ٨٢.

٥- انظر: طه حسين: في الشعر الجاهلي. تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٧م، ص١٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فذكرَ الرواةُ أنَّ له شيطانًا للشعر اسمه (هبيد)، هو الذي يُلهمه الشعرَ، حتى قالوا: (لولا هبيد ما كان عبيدٌ). بينما ذكرَ آخرونَ أنَّه اتُّهِمَ بأختِه مَاوِيَّةَ مِن قِبَلِ رجلٍ مِن بني مالك بن ثعلبةَ. فلمّا سمعَ اتهامَ المالكيّ له رفعَ يدَيْه ثم ابتهلَ إلى الله داعيًا على مَن اتهمه بأختِه. فذُكِرَ أنّه أتاه آتٍ في المنامِ بكُبّةٍ [الكُبّة: مجموعةٌ مِنَ الخيوطِ ونحوها على شكل كُرةٍ] مِن شِعْرٍ حتى ألقاها في فِيه، ثُمَّ قالَ: قم، فقامَ وهو يرتجزُ الشعرَ.

لكنَّ الدارسين لشعرِ عبيدٍ اتفقوا على أنّه قد أنشدَ قصائدَه تلك في مرحلةِ مَا بعدَ الشبابِ؛ لما فيه مِن تذكُّرٍ للشبابِ الذي قامَ فيه بجلائلِ الأعمال، وإبداءٍ لآرائه المختلفة في الوجودِ والمصيرِ، وحديثٍ في الحِكَمِ والوعظِ والموتِ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقامةُ الثانية هو السير تشارلز جيمس ليال (١٨٤٥ - ١٩٢٠م) Lyall, Sir Charles.J مستعربٌ إنجليزيٌّ، تخرّجَ في كمبريدج، والتحقَ بالعملِ في إدارةِ البنغال المدنية وهو في الثانية والعشرين من عمرِه، وتقلّدَ بعضَ المناصبِ الرفيعةِ في حكومةِ الهندِ حتى انتهى به الأمرُ أنْ صارَ المندوبَ الرئيسي للولاياتِ المركزية في الهندِ في الفترة ما بين (١٨٩٥ - ١٨٩٨م).ثُمَّ تركَ ليال الهند عائدًا إلى لندن، حيثُ عملَ سكرتيرًا للقسم القضائي والعمومي في الديوان الهندي بلندن، واستمرَّ في هذا المنصبِ حتى أُحيل إلى التقاعدِ عام ١٩١٠م.

وفي أثناءِ عملِه في الهندِ درسَ اللغةَ العربيّةَ، ولمّا عادَ إلى أوربا تتلمذَ على يدِ المُستعرب الألمانيّ الشهير نولدكه في جامعةِ اشترسبورج، والذي أرجعَ إليه الفضل ـ كما سنرى ـ في نشر ديوانِ عبيدٍ.

وكانت باكورةُ أعمالِه في ميدان التراثِ العربيّ سلسلةً مِن الترجماتِ التي نشرها في مجلة الجمعيّة الملكية الآسيوية ـ وقد كان أحدَ رؤسائها ـ في السنوات: ١٨٧٧م، و١٨٧٨م، و١٨٨١م. ثُـمَّ جَمَعَها بعد ذلك في كتابٍ نُشِرَ بلندن عام ١٨٨٥م بعنوان: تراجم شُعراء العرب والشعر الجاهلي.

Translation of Ancient Arabian Poetry, Chiefly pre-Islamic (London, ١٨٨٥).

ثُمَّ توالت بعدَ ذلك تحقيقاتُه المُتقنة في مجالِ النُّصوصِ العربيّة الأدبيّة، فقام بنشر (شرح المعلقات السبع) للتبريزي، ودواوين: عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل بشرح الأنباري متنًا وترجمةً ١٩١٣م، وديوان عمرو بن قميئة (كمبريدج ١٩١٩م)، والمفضليات للمفضل الضبي، وقد عاجلته المنية في أول سبتمبر ١٩٢٠ ولم يرَ الكتابَ في صورته المطبوعة، فتولّى المستشرق الإنكليزي أنتوني آشلي بيفان Antony Ashley Bevan مراجعةَ تجارب الطبعَ وخرج بعد وفاة ليال بعدة أشهر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمّا القامةُ الثالثة فهو الأستاذ الدكتور حُسين مُحمّد نصّار، أستاذ الأدبِ العربيّ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة. وُلِد في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٢٥م، وحَصَلَ على درجة (الليسانس) في الآداب من قسم اللغة العربيّة سنة ١٩٤٧م، ثُمّ على درجة الماجستير عام ١٩٤٩م في الأدب العربي، برسالةٍ موضوعها: (نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي)، ثم درجة الدكتوراه عام ١٩٥٣م في المعجم العربي، برسالة موضوعها: (المعجم العربي: نشأته وتطوّره).

وقد كانت بداية تحقيقه للنصوص التراثية ونشرها بصفةٍ عامةٍ، ودواوين الشعر بصفة خاصةٍ، وهو في الفرقة الرابعة من الكلية؛ حيث قام بتحقيق ديوان (سراقة البارقي) عام ١٩٤٧م، ثم توالت التحقيقات العلمية الرصينة لعيونِ التراثِ العربي، في الأدبِ، والتاريخ، واللُّغة. مِن ذلك تحقيقُه لكلٍّ مِن:

- ديوان ابن وكيعٍ التَّنِّيسي، ١٩٥٣م.
- ديوان جميل بثينة، ١٩٥٧م.
- ديوان قيس بن ذريح، ١٩٦٠م.
- ديوان الخِرْنق بنت بدر بن هفّان، ١٩٦٩م.
- ديوان ظافر الحدّاد، ١٩٦٩م.
- ديوان ابن الرُّومي (في ستة أجزاء)، ١٩٧٣- ١٩٩٤م.
- ديوان أبي الصُّوفي سعيد بن مسلم العماني، ١٩٨٢م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*** ديوانُ عبيد بن الأبرص.. قاسمٌ مشتركٌ:**

إذا ارتضينَا التقسيمَ القائلَ بأنَّ المستشرقينَ ثلاثةُ ضروبٍ:

١- ضربٌ لم يملك ناصيةَ اللغةِ، فأخطأ في نشرِ الكتبِ وفي فهمِ النصوصِ، لكنّه حَفِل بإثباتِ أمورٍ شكليّةٍ لا فائدةَ لنا منها.

٢- وضربٌ أثّرت في دراساتِهم مآربُ السياسةِ والتعصبُ للدين، فوجهوا الحقائقَ وفسّروها بما يوافقُ أغراضَهم أو ما يسعونَ إليه. ولعلَّ هذا الضربَ هو الذي دفعَ الشرقيينَ مِنَ المُسلمينَ العربِ أنْ يرتابوا بالمستشرقينَ جميعًا.

٣- وضربٌ ثالثٌ أُوتيَ الكثيرَ مِن سعةِ العلمِ والتمكُّنِ مِنَ العربيّةِ والإخلاصِ للبحثِ، والتحرر والإنصافِ، فكانت دراساتُهم مثمرةً وأعمالُهم مباركةً، وكانوا جديرين بكلِّ إجلالٍ[1].

فإنّه يمكننا بكلِّ ارتياحٍ أنْ نجعلَ المستعربَ الإنجليزيّ تشارلز ليال واحدًا مِن رجالِ هذا الضربِ الأخيرِ؛ فلقد أتقنَ العربيّةَ وانتحى نحو أشعارِ الجاهليين بصفةٍ عامةٍ، وأشعار عبيد بن الأبرصِ بصفةٍ خاصّةٍ. دلَّ على ذلك نشرُه عام ١٨٨٥م لكتاب: تراجم شُعراء العرب والشعر الجاهلي.

كما بدأ اهتمامُه مبكرًا بشعرِ عبيدٍ عندما تناولَ بالتحقيق شرح القصائد العشر للتبريزي، ومنها قصيدة عبيد بن الأبرص (كلكتا ١٨٩٤م).

وفي عام ١٩٠٧م اقتنى المتحفُ البريطاني نسخةً خطيّةً نادرةً تضمُّ أشعارَ: عبيدِ بن الأبرصِ، وعامرِ بن الطُّفيل، وطُفيلٍ الغنويّ، والطِّرمَّاح. وهي تنتمي إلى بواكير القرن الخامسِ الهجريِّ. حيثُ عثرَ عليها مستر هـ. س. كوبر Mr. H.S.Cowper في بيروت، فعرفَ لها قيمتَها، ونجحت وساطتُه في حصولِ أُمناءِ المتحفِ البريطاني عليها وحيازتِها، وقد حُفظت به تحت رقم: (٦٧٧١/ ٢ مخطوطات شرقية).

١- انظر: عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره. القاهرة: دار المعارف، ط٢. ١٩٩٣م، ص١٨١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد عكفَ ليال على تحقيقِ أشعارِ كُلٍّ مِن: عبيد بن الأبرصِ، وعامرِ بن الطُّفيل، معتمـدًا على تلك النُّسخةِ النفيسةِ، ومُستعينًا بالمصادر التي استطاعَ أنْ يُحصِّلَها آنذاك.

وقد حاولَ ليال محاولةً مخلصةً في إخراجِ ديوانِ أشعارِ عبيدٍ إخراجًا لائقًا، باذلًا فيه جهـدًا كبيرًا، يدلُّ على ذلك تعقّبُه للأخطاءِ الكثيرةِ الواردةِ في النُّسخة الوحيدةِ، ومحاولته الصـادقة في تصحيح ذلك، والإتيانِ بتعليقاتٍ مضيئةٍ للنصِّ المُحقّقِ.

واستطاعَ ليال بالفعلِ أنْ يُخرجَ الديوانَيْنِ معًا ـ عبيد بـن الأبـرص، وعـامر بـن الطفيـل ـ لأول مرّةٍ مع ترجمةٍ إنجليزيّةٍ لهما، بعنايةِ لجنةِ (جب) في لندن وليدن عام ١٩١٣م.

THE DĪWĀNS

OF

ʿABĪD IBN AL-ABRAṢ, OF ASAD,

AND

ʿĀMIR IBN AṬ-ṬUFAIL, OF ʿĀMIR IBN ṢAʿṢAʿAH,

EDITED FOR THE FIRST TIME, FROM THE MS. IN THE BRITISH MUSEUM,

AND SUPPLIED WITH A TRANSLATION AND NOTES,

BY

SIR CHARLES LYALL.

PRINTED FOR THE TRUSTEES OF THE "E. J. W. GIBB MEMORIAL"

LEYDEN: E. J. BRILL, IMPRIMERIE ORIENTALE
LONDON: LUZAC & CO., 46, GREAT RUSSELL STREET
1913

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بدأ تشارلز ليال عملَه الفذَّ بتصديرٍ للديوانَيْنِ معًا (ديوان عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطُّفيل) قبلَ أنْ يتطرّق إلى الحديثِ مفصّلًا بمقدّمة وافية عَنْ كل ديوانٍ مِن الدّيوانَيْنِ. تحدّث في هذا التصدير المُوجز عَنْ قصّة اقتناء تلك النُّسخة الخطيّةِ، وما واجهه في تحقيقِها مِن صعوباتٍ، تمثّلت أوّل ما تمثّلت في أنّه لم يكن من المتاحِ له أنْ يقارنَ بينَها وبين نصوصٍ أخرى في أي مكانٍ آخر مقارنة كاملة. ثُمَّ ختمَ كلامَه بتوجيه الشُّكرِ لكوكبةٍ مِن المستشرقين أمثال: كرنكوف، وجاير، وهومل. لكنّه خصَّ بالشكرِ مثلَه الأعلى المستشرقِ الألماني (نولدكه)، الذي لم يبخلْ عليه بفحصِ المُسوّدة الأولى للتحقيق ومقارنتها بالمخطوط، بل أصرّ على مُراجعةِ المُسوّدةِ النهائية عند إعدادِها للطبعِ. لذلك لم يكن غريبًا أنْ وجدنا ليال يُهدِي إلى أستاذِه هذا العملَ بقولِه:

DEDICATED

TO

OUR MASTER

THEODOR NÖLDEKE

IN GRATITUDE AND AFFECTION.

(يُهدى إلى أستاذنا ثيودور نولدكه عرفانًا بجميله ومحبّةً)

وأن يأتيَ بتعليقاتِ أستاذه نولدكه التي كتبها بالألمانية على بعضِ أبياتِ الديوان، دونَ أنْ يحاولَ ترجمتَها إلى الإنجليزية.

a) vv. 43 and 44 omitted in MS, entered from Tib.; our MS has a scholion on v. 44.

b) MS حَمِيَ (*sic*). c) A line had apparently fallen out in the original of our MS; the words in brackets have been supplied from Agh. XV. 138[1–2].

d) MS امرك. For يدوفيا the MS has دسيا, which I am unable to read.

NOTE BY PROF. NÖLDEKE ON THE METRE OF THE ABOVE POEM.

Die metrischen Anstösse dieses Gedichtes sind meines Erachtens nicht etwa darauf zurückzuführen, dass zu der Zeit des alten Dichters die Metrik überhaupt noch nicht streng durchgeführt worden wäre, denn in den anderen Gedichten ʿAbīd's, wie sonstiger alter Dichter, herrscht volle metrische Regelmässigkeit. Und gerade die Eigenthümlichkeit, die in diesem Gedichte zunächst befremdet, findet sich auch bei امرؤ القيس, dem Zeitgenossen des Dichters, in einem Gedichte desselben Metrums (siehe unten).

Diese Eigenthümlichkeit besteht darin, dass der letzte Fuss (namentlich des *ersten* Halbverses) statt ⏑ – – (oder gar ⏑ – ⏑, v. 20), auch ⏑ – ⏑ – resp. ⏑ ⏑ – sein darf. (So eben auch bei Imra'al-Qais 55,10 – – ⏑ –, was freilich durch die Vocalisation رَبِيعُ صَيْفٍ vermieden werden könnte, und auch 55,5 – ⏑ ⏑ –). Der Fuss, welcher das Reimwort enthält, ist fast stets ⏑ – –, nur v. 20 auch mit der Verlängerung ⏑ – ⏑ – –.

(Eine ganz ähnliche Freiheit ist im Metrum *Kāmil* gar nicht selten, wo für den letzten hyperkatalectischen Fuss ⏑ ⏑ – manchmal der volle Fuss ⏑ ⏑ – ⏑ – eintritt, z. B., Agh. 15,4, 1 und 3; ʿUmar b. Abī Rabīʿa [Schwarz] 37, 2, 12*f*; 39, 4, 13; 106, 5*f*; 109,9; 200, 7, und sonst bei Dichtern; auf Wunsch kann ich mehr Fälle geben).

Ich möchte annehmen, dass unser Gedicht ursprünglich weiter keine metrischen Licenzen auf-

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثُمَّ أتى ليال بعد هذا التصديرِ بقائمةِ اختصاراتِ المراجعِ التي اعتمدها (وتقع في ثلاث صفحات)، وهي إنْ كانت تنمُّ فإنّها تنمُّ على سعةِ اطّلاعِه ودرايتِه الكاملة بعيونِ التراثِ العربيّ.

بعد ذلك قدّم ليال لديوانِ عبيدِ بن الأبرص بمقدّمة وافيةٍ (وتقع في خمس عشرة صفحة)، كانت مثار إعجاب مِن الدارسين بعد ذلك؛ حتى إنّهم عدّوها وحدَها دراسةً تاريخيّةً فنيّة مُستقلّة عَنْ عبيد بن الأبرص، وفيها تناول الموضوعات التالية:

أ- عبيد بن الأبرص وقبيلتُه بنو أسد في ظلّ ولاية أمير كندة حُجر بن الحارث الكندي، والد امرئ القيس، والروايات المختلفة حول مقتلِه وترجيح بعضِها على بعضٍ.

ب- طلبُ امرئ القيس الأخذَ بثأر والدِه مِن بني أسدٍ، وعلاقتُه بعبيد بن الأبرص.

ج- حياةُ عبيد بن الأبرص، ومكانتُه الشعريّة.

د- الحديثُ عَنْ أوّل مَنْ جمعَ أشعارَ عبيد بن الأبرص، والقولُ في قضيّة انتحال الشعرِ، وسردُ أسباب الجزم بصحّة جُلِّ مَا نُسِب لعبيد من أشعار.

هـ- استنتاجاتٌ حولَ النُّسخة الخطيّة الوحيدة للديوان، وبعض السمات المميزة لها.

و- قائمةٌ بالألفاظِ الدارجة في شعر عبيدٍ، والحديث عن أسلوبه الشعريّ.

وكلُّ هذه الموضوعاتِ مِن الأهميّة بمكانٍ، غير أنني سأتوقفُ عند نقطةٍ بعينِها، وهو حديثُه عن النُّسخةِ الخطيّة وما استنتجه خلالها من استنتاجاتٍ:

- فقد ذكر ليال في المقدمة أن نسخة المتحف البريطاني تلك ـ والتي أشار قبل ذلك إلى قصّة اقتنائها في تصديرِه للديوانَيْنِ ـ سقيمةٌ كثيرةُ الأخطاءِ، يظهرُ ذلك مِن خلالِ مقارنتها مع غيرِها مِن المختاراتِ الأدبيّةِ.
- ذكرَ أنّها كُتبت قرب عامِ ٤٣٠هـ؛ استنادًا إلى حردِ المتنِ الموجود في آخر ديوان عامر بن الطُّفيل، علمًا بأنَّ النُّسخة الخطية تضم أربعة دواوين شعرية، هي: ديوان عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل، وطفيل الغنوي، والطّرمّاح.
- قرّر أنّ النسخةَ كُتبت بقلمٍ مغربيٍّ، وأنّها استُنسخت ـ أيضًا ـ مِن أصلٍ مغربيٍّ؛ بسبب ما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لاحظَه فيها مِن تحريفاتٍ ناجمةٍ عَنْ شكلِ القلمِ المغربي، كما يتضحُ في التحريف التالي: (واسْتَكَلَ عَنْهُنّ) بدلًا مِن: (واستظلَّ تحتهنّ)، فمِن الممكنِ الخلطِ بين (ظـ) عند جرِّ مركزِها إلى الخلفِ ـ كما في الخطّ المغربي ـ بحرف (كـ).

- استنتجَ ـ أيضًا ـ أنَّ تلك النُّسخةَ المغربيّة تملّكها بعد ذلك أحدُ المشارقةِ؛ حيثُ وصلت إليه هذه النُّسخة مهملةَ النَّقْطِ فأضافَ إليها النقطَ بطريقةِ المشارقةِ، غيرَ أنّه وقع ـ على حدِّ قولِه ـ في خلطٍ غير عاديٍّ.

واستشعرَ ليال خطورةَ اعتمادِ المُحقّقِ في تحقيقِه على نُسخةٍ خطيّةٍ وحيدةٍ، وهو مَا قرّرَهُ شوامخُ المُحقّقين العرب بعد ذلك بعشراتِ السّنين، مِن أنّه لا يجوزُ لشداة المحقّقين الاعتمادُ على نُسخةٍ خطيّةٍ وحيدةٍ لإخراجِ النصِّ.

لكنّه استطاعَ عَنْ طريقِ عرضِ أبياتِ الديوانِ على المصادرِ الأخرى أنْ يستخلصَ معظمَها مِن تلك المصادر، ليقارنَ ما ورد بها وما هو مذكورٌ في تلك النُّسخةِ السقيمةِ. يحدّثنا عن منهجِه في ذلك قائلًا: «وكانَ مِن الخطرِ كلّ الخطرِ أنْ أشتغلَ على مخطوطٍ وحيدٍ كهذا، محاولًا تحقيقَ النصّ وإقامتِه، لولا وجودُ قدرٍ كبيرٍ مِنَ القصائدِ التي يضمُّها الديوانُ في مراجعَ أخرى. فيُذكر ما لا يقلُّ عن ٢٣ قصيدةً مِنَ القصائد الأربعِ والعشرين الموجودةِ في المخطوطِ، كاملةً أو مقطوعاتٍ منها، في كُتبٍ أخرى. وتضمُّ القصائد ٤٦٢ بيتًا، يوجد منها في المواضعِ ٢٧٩، فلا نُترك بدونِ عونٍ تحت رحمةِ المخطوطِ إلا في ١٨٣ بيتًا»[1].

ولقد أخلفَ تشارلز ليال في عملِه هذا مَا كانَ يدورُ في ذهني مِن ظنونٍ، حول مَا درجَ عليه كثيرٌ مِن المُستعربين، واعتمادِهم بشكلٍ رئيسٍ على المقابلةِ بين النُّسخِ وبعضِها البعض مقابلةً تدعو إلى مَللِ القارئ وإثقالِ الهامشِ بما لا يلزمُ. لذلك فإنّه قد آثرَ كتابةَ التعليقاتِ المُهمّة التي تعودُ بالنَّفعِ والإفادةِ لدى القارئ، يقول: «ولم أر ـ عند الطّبعِ ـ مِن الضروريِّ الإشارةَ إلى التغييراتِ التافهةِ التي أُجريها في

---

١ – مقدّمة ليال لديوان عبيد بن الأبرص، بتحقيق: حسين محمد نصار. القاهرة: مطبعة الحلبي،ط١. ١٩٥٧م، ص٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المخطوطِ، مثل وضع النُّقطِ الناقصة، أو تصحيح الأخطاء الواضحةِ التي وقعَ فيها المالكُ الثاني عند وضعِه إيّاها: فلو أُشير إلى كُلِّ تغييرٍ مِن هذا اللونِ لتضخمت التعليقاتُ تضخمًا غيرَ محتملٍ؛ ولكنني أعتقدُ أنني قد أبنتُ جميعَ الاختلافاتِ الهامةِ بين النصِّ الذي اعتمدتُه والمخطوط»[1].

وأراد ليال أنْ يُشركَ القارئَ معه في معاناتِه لهذه النُّسخة الخطيّة، فأتى في نهاية تحقيقِه للديوان ـ وقبل الذيل والملحق ـ بأربعة نماذج مصوّرةٍ منها مثّلت الورقات الأخيرة مِن الديوان:

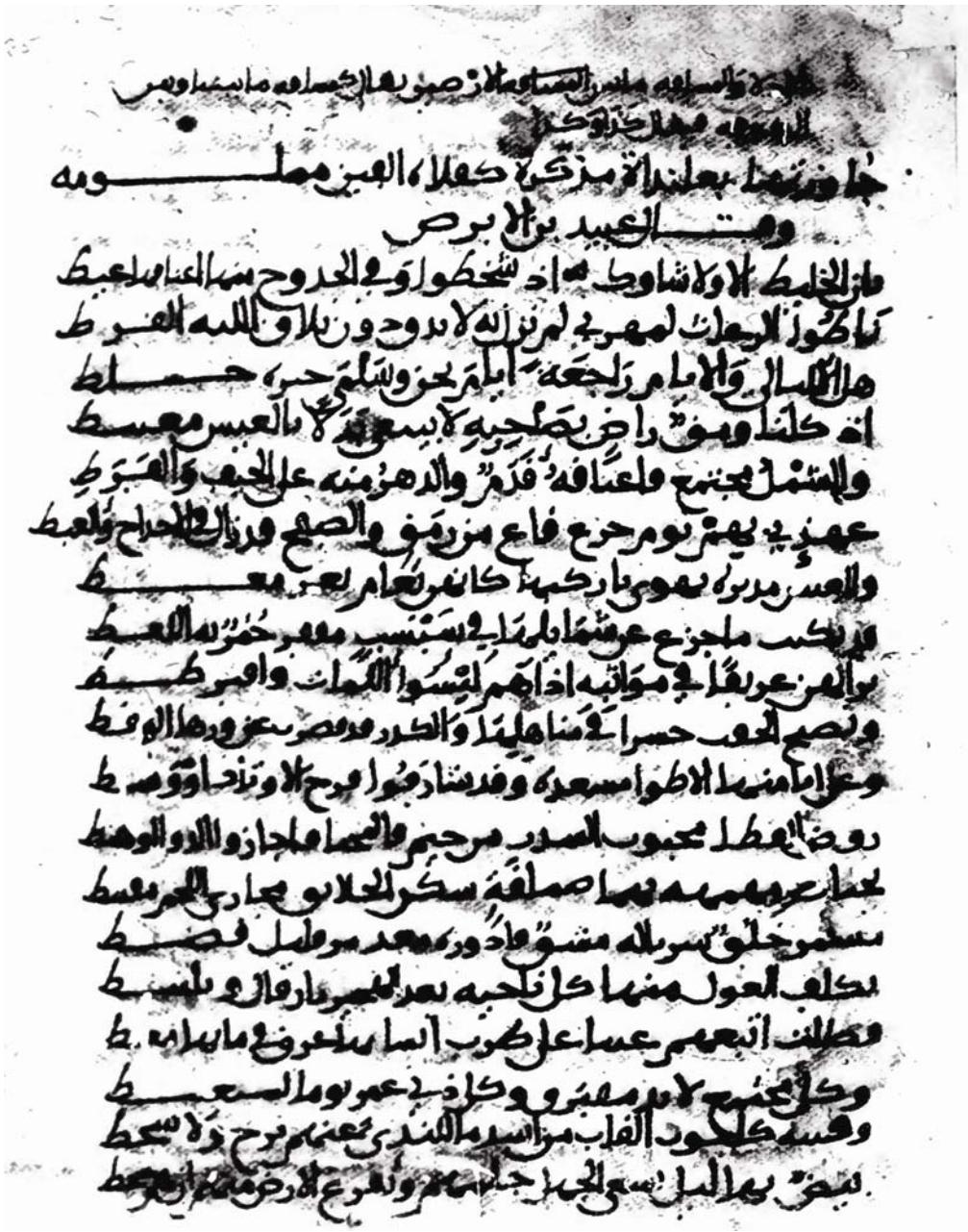

١ – مقدمة ليال لديوان عبيد، بتحقيق حسين نصار، ص٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

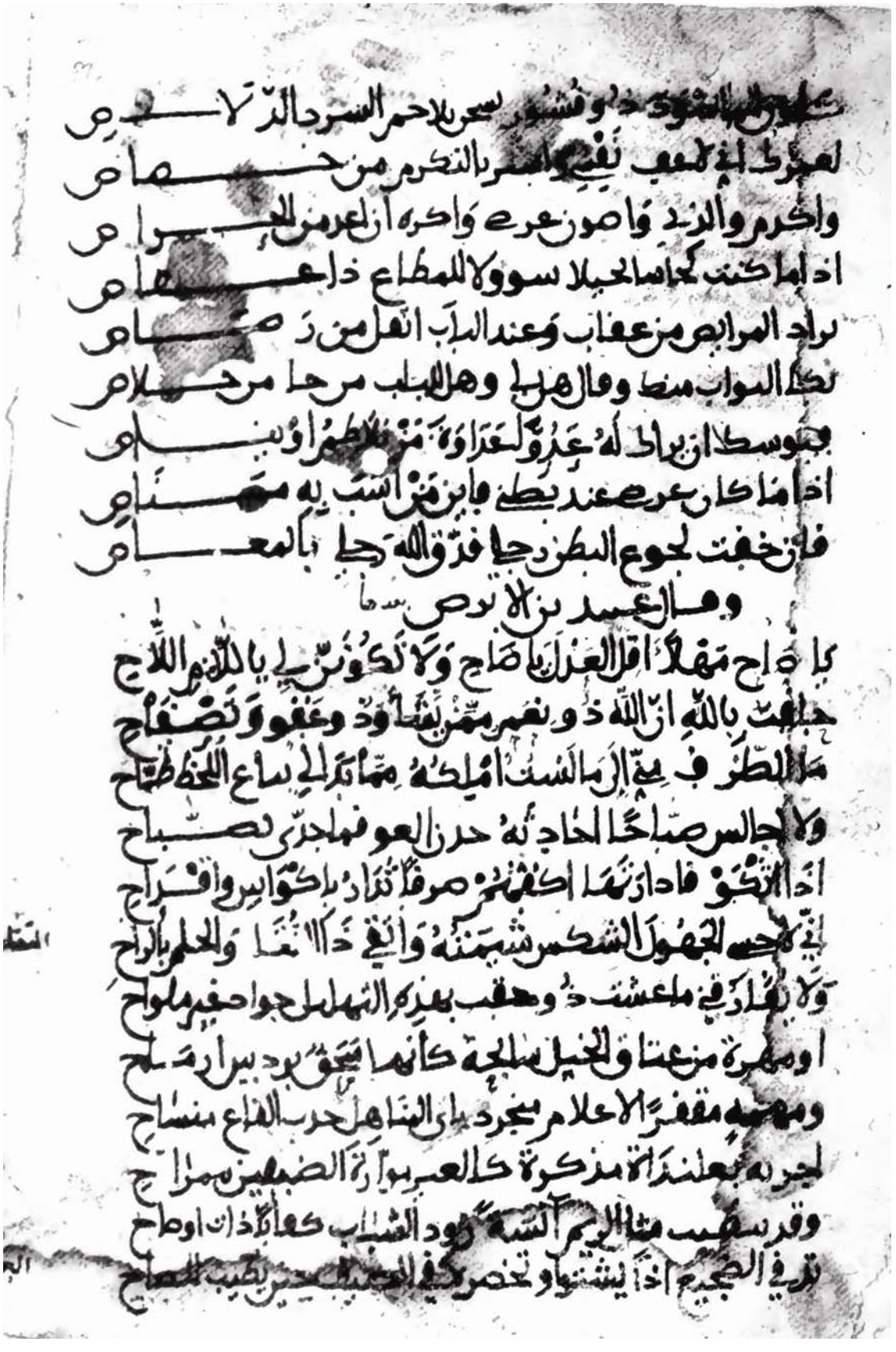

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

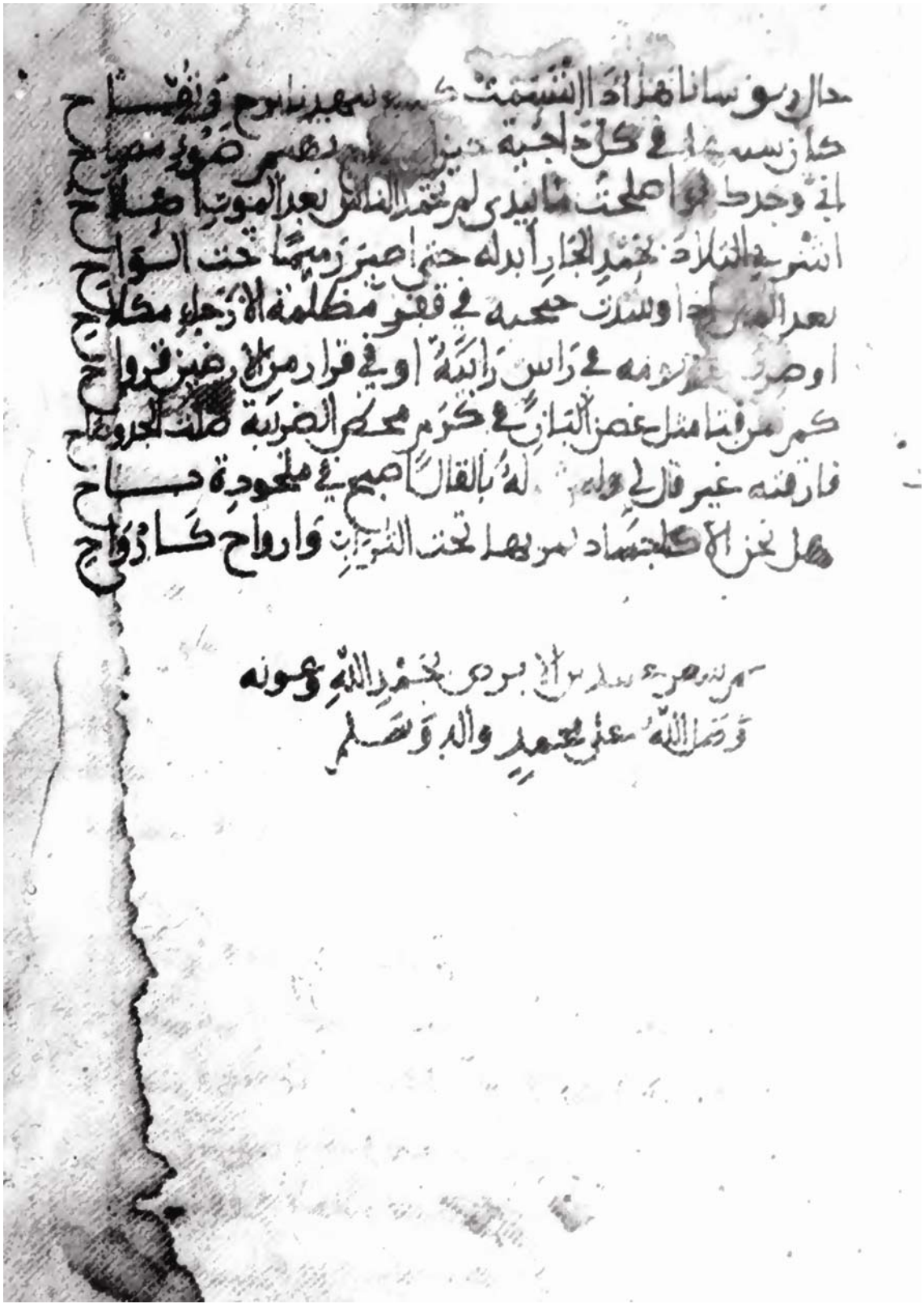

وتنتهي هذه النماذج بالصفحة رقم (٦٩)؛ ليبدأ ليال فيما أسماه (الذيل) ـ الذي ضمّ ستّ قصائد ـ حيثُ صرّحَ في الهامش الأوّل لهذا الذيل أنَّ ثمّةَ ثغرةً (lacuna) بالنصِّ بين القصيدةِ العاشرةِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحادية عشرة، تُقدّر بورقةٍ على الأقلّ أو أكثر، وأنّها تُماثل تقريبًا المساحةَ التي يشغلُها هذا الذيل.

ثم ابتدأ في الصفحة رقم (٨١) بملحقٍ ضمَّ فيه سبعَ عشرة مقطوعة شعريةً تُنسب إلى عبيدِ بن الأبرص وليست موجودةً في الديوان، منوّهًا باسم كُلِّ مصدرٍ استقى منه هذه المقطوعة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*** الدكتور حسين نصّار ونشرُه لديوان عبيد بن الأبرص:**

أُعجب الأستاذ الدكتورُ حُسين نصّار بتحقيقِ تشارلز ليال لديوان عبيدِ بن الأبرصِ، وشهدَ له بما بذلَه مِن جهدٍ واضحٍ في مقدّمتِه الضافيةِ للديوان، وتحقيقِه له اعتمادًا على النسخةِ الوحيدةِ التي وصلت إلينا مِن الديوان.

فما كانَ منهُ إلا أنْ قامَ أولًا بترجمةِ تلك المقدمة الوافية للديوانِ ليقدّمها هديةً إلى المعنيين. ثم إنّه اطّلعَ بعدَ ذلك على أشعارٍ أخرى لعبيدٍ أوردَها ابنُ ميمون في كتابِه (**منتهى الطلب مِن أشعار العرب**)، ولم تَرِد في النسخة الخطيّة التي اعتمدَها ليال، ولم يكن كتابُ ابن ميمون مِن المراجع التي وقعَ عليها ليال أثناء تحقيقِه للديوان.

فكان هذا دافعًا له لإعادةِ نشرِ ديوانِ عبيدٍ مرّةً أخرى، فضلًا عَنْ صعوبةِ العثورِ على نشرةِ ليال للديوان.

يقولُ الدكتور حسين نصّار في تصديرِه للديوان: «وإذ وجدتُ هذه المجموعة [أي: مجموعة الأشعار الموجودة بمنتهى الطلب] تُصحّحُ كثيرًا مِن شعرِ عبيدٍ، وتزوّدنا برواياتٍ جديدةٍ، بالإضافةِ إلى مَا تمدُّنا به المراجعُ الأخرى، وجدتُني مسوقًا إلى إخراجِ شعرِ عبيدٍ... وشحذَ همّتي إلى ذلك عدمُ طبعِ شعرِ عبيدٍ في مصر وغيرِها من البلاد العربيّة مِن قبل، وعجزُ الباحثين عن الحصولِ على طبعةِ ليال»[1].

وقد صدرَ ديوانُ عبيدٍ في نسختِه العربيّة لأوّل مرة عام ١٩٥٧م، عن (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي) بالقاهرة، في (١٧٨ صفحة) مِن القطعِ المتوسط، وعلى غلافِه ما نصُّه:

[ديوانُ عبيدِ بن الأبرص

تحقيق وشرح

دكتور حسين نصّار]

---

١ - ديوان عبيد، تحقيق: حسين نصار، ص٦.

ديوان عبيد بن الأبرص

تحقيق وشرح

دكتور حسين نصار

مدرس بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م

[حقوق الطبع محفوظة]

الناشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكنَّ المنهجَ المُتّبعَ في نشرِ هذا الديوانِ يبدو متناقضًا مع مَا هُو مُقرّرٌ على صفحةِ الغلاف، أعني كلمة (تحقيق)؛ فالتحقيقُ يعني الوصولَ بالنصِّ المخطوطِ إلى أقربِ صورةٍ أرادَها كاتبُه، دون تحسينٍ أو تصويبٍ أو تقديمٍ أو تأخيرٍ، أو إعادة ترتيبٍ. وهذا مَا خالَفَه أستاذُنا الدكتور حُسين نصّار في هذا العملِ؛ حيثُ ذكرَ في تصدير الديوان أنّه أعادَ ترتيبَ قصائدِ الديوان دونَ الالتزام بترتيب النُّسخةِ الخطيّة. يقول: «ونهجتُ في عملي على ترتيبِ القصائدِ على قوافِيها، دونَ تقيّدٍ بترتيب طبعة ليال أو طول القصائدِ»[1].

كما أنَّ التحقيقَ بمعناه الاصطلاحيِّ يُلزم المُحقّق عدمَ إضافةِ شرحٍ للنصِّ أو تعليقٍ عليه في المتنِ، وإنّما مثل هذه الإضاءات تكونُ في الهامش. وهذا أيضًا ما لم يفعلْه أستاذُنا؛ حيثُ صدّرَ القصائد الكبيرةَ بما أسماهُ (جوّ النصّ)؛ مستفيدًا ممّا قام به ليال بالإنجليزية مِن تعريفٍ للقصائد نفسِها قبل ترجمتِها. يقول الدكتور حسين نصّار: «وصدّرتُ القصائدَ الكبيرةَ بكلمةٍ أطلقتُ عليها (جوّ القصيدةِ)، وذكرتُ فيها أسبابَ نظمِ القصيدةِ إنْ كانت قد وصلت إلينا، وتحليلًا لموضوعاتِها. وقد أخذتُ هذه الكلمات ممّا صدّرَ به المحققُ المستشرق ترجمتَه لقصائدِ عبيدٍ؛ فقد ترجمَ قصائدَ الديوانِ كُلَّها، وقدّمَ بين يديها مثلَ هذه الكلماتِ»[2].

ولم يُحصّل أستاذنا الدكتور حُسين نصّار النُّسخةَ الخطيّة الوحيدةَ التي اعتمدَها ليال في إخراجِ الديوان، وإنما اكتفى بقراءة ليال للنُّسخة، واتخذَ قراءتَه أصلًا له دون الرجوعِ إلى المخطوط، يقول: «وجدتُني مسوقًا إلى إخراج شعرِ عبيدٍ، باتّخاذِ ديوانِه مِن تحقيقِ (ليال) أصلًا لي».

كذلك لم يقم أستاذنا الدكتورُ حُسين نصّار بوضعِ مُقدّمةٍ لأشعارِ عبيدٍ، وإنما اكتفى بتصديرٍ وقعِ في ورقة واحدةٍ فقط، ثُمَّ أعقبَ ذلك بترجمةِ مقدمة ليال للديوان، ولم يُضِف إليها حرفًا واحدًا. قال: «ولهذه الأهميّةِ التي تتصفُ بها مقدّمةُ ليال، ولإعجابي بها كما أسلفتُ، رأيتُ أنْ آتيَ بها هُنا كاملةً دونَ اختصارٍ»[3].

١- ديوان عبيد، ص٦.
٢- السابق، نفسه.
٣- السابق، نفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكي يتضحَ لنا مَا قامَ به أستاذُنا الدكتور حُسين نصّار مِن جهدٍ، ـ يمكنُ لنا أنْ نُسمّيَه جمعًا وليس تحقيقًا ـ ينبغي علينا أنْ نعلـمَ أوّلًا أنَّ إجمالي عـدد الأبيـات الشـعرية في نشرة ليـال (ديوانًـا، وذيـلًا، وملحقًا) بلغَ ٦٣٧ بيتًا، كان توزيعها كالآتي:

- عدد أبيات المتن دون الذيل والملحق = ٤٦٤ بيتًا.
- عدد أبيات الذيل فقط = ١١٤ بيتًا.
- عدد أبيات الملحق فقط = ٥٩ بيتًا.

لكنَّ أستاذنا الدكتور حسين نصّار لم يُفرّق في نشرتِه بين مَا هُو في صُلب المتن، ومَا هُو في الذيل أو الملحق، حيثُ لم يكن ملتزمًا ـ كما سبقَ ـ بترتيب النُّسخةِ الخطيّة التي اعتمدها ليال أصلًا له. وقد بلـغ إجماليُّ عددِ الأبيات عندَه ٦٥٨ بيتًا، أي: بزيادة ٢١ بيتًا عن نشرة ليال، وهذه الزيادةُ تمثّلت في:

أ- زيادةُ (٥) أبيات في معلّقتِه الشهيرة، التي أوّلها:

أقفـــرَ مِـــن أهلِـــه ملحـــوبُ فالقُطّبيَّـــــاتُ فـالذَّنُـــــوبُ

وهي الأبيات رقم: ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٤٩ في نشرة الأستاذ الدكتور حسين نصّار.

ب- زيادة (٤) أبيات في قصيدتِه التي أوّلها:

لـــيسَ رســـمٌ عـــلى الـــدّفينِ ببـــالِي فَلِـــوَى ذِرْوَةٍ فَجَنْبَـــيْ أُثَـــالِ

وهي الأبيات رقم: ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩ في نشرة الأستاذ الدكتور حسين نصّار.

ج- زيادة بيت واحدٍ في قصيدتِه التي أوّلها:

لِمَـــنِ الـــدّيارُ بِصَـــاحةٍ فَحَـــروسِ دَرَسَـــت مِـــنَ الإِقْفَـــارِ أيَّ دُرُوسِ

وهو البيت رقم: ٢٠ في نشرة الأستاذ الدكتور حسين نصّار.

د- زيادة بيتين في قصيدتِه التي أوّلها:

تُحـــاولُ رسـمًا مِـن سـليمى دَكَادِكِـا خَـــلاءً تُعَفّيـــه الرّيَـــاحُ سَـــوَاهِكَا

وهما البيتان رقم: ٩، ١٠ في نشرة الأستاذ الدكتور حسين نصّار.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هـ- زيادة (٤) أبيات في قصيدتِه التي أوّلها:

طــافَ الخيــالُ علينَــا ليلــةَ الــوَادي مِـــن أُمِّ عمـــرٍو، ولَمْ يُلْمِـــم لِيعَـــادِ

وهي الأبيات رقم:٦، ٧، ١٣، ١٠ في نشرة الأستاذ الدكتور حسين نصّار.

و- زيادة بيت واحد في قصيدتِه التي أوّلها:

أَمِـــنْ رُســـومٍ نُؤيهـــا ناحـــلُ ومِـــنْ ديـــارٍ دمعـــكَ الهامـــلُ

وهو البيت رقم: ٣ في نشرة الأستاذ الدكتور حسين نصّار.

ز- زيادة بيت واحد في قصيدتِه التي أوّلها:

هبّـت تلـومُ وليسـت سـاعةَ اللاحـي هــلّا انتظـرتِ بهـذا اللّـومِ إصـباحي

وهو البيت رقم: ٨ في نشرة الأستاذ الدكتور حسين نصّار.

ح- زيادة بيت واحد على البيتِ الذي ذكرَه راوي الديوانِ قبل سردِ أشعار عبيدٍ؛ حيثُ جاء في نشرة ليال:

أَقفـــرَ مِـــن أهلِـــه عبيـــدُ فلـــيسَ يُبـــدي ولا يُعِيـــدُ

فزاد في نشرة الدكتور حسين نصّار بعد هذا البيت بيتًا آخر يليه، هو:

عَنّـــت لـــه منيّـــةٌ نَكُـــودُ وحَـــانَ منهـــا لـــهُ وُرُودُ

ط- زيادةُ بيتَين على مقطوعة مِكونة من أربعة أبيات، ذكرها راوي الديوان قبل سردِ أشعار عبيدٍ، في ثنايا سرد ما دار بين عبيد والمنذر بن ماء السماء مِن حوار، والتي تبدأ بقولِه:

واللهِ إنْ مِـــتُّ مَـــا ضَرّني وإنْ عشـــتُ مَـــا عشـــتُ في واحِـــدَه

فزيد في نشرة الدكتور حسين نصار البيتان رقم: ١، ٤.

وباستثناءِ مَا أضافَه الدكتور حسين نصّار في نشرتِه مِن أبياتٍ لم تكن موجودةً في نشرة ليال، فثمّـةَ مزيّتان في تلك النشرة، أولهما: خلوّها مِن تلك الأخطاء التي وقعَ فيها تشـارلز ليـال أثنـاء تحقيقِـه، أو تلكم الأخطاء المطبعية التي استُدركت في النشرة الإنجليزية.

والمزية الأخرى تتمثّل في ذلك التذوّق الشعري لأبياتِ عبيدٍ مِن قِبَلِ الدكتور حسين نصّار، ورأيِه في ترجيحِ روايةٍ على أخرى، وهو ما لم يتوافر في نشرة ليال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

***سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقيق المستشرقين:**

وهي لجنةٌ كوّنها الدكتور محمد عوني عبد الرءوف، أستاذ الدراسات اللغوية بكلية الألسن ـ جامعة عين شمس، بمركز تحقيق التراث، بدار الكتب المصرية. وتهدف ـ كما هو مفهومٌ مِن عنوانِها ـ إلى إعادة نشرِ تحقيقات المستشرقين المشاهير، مع ترجمةِ تعليقاتِهم إلى العربيّة.

ولم يُكتب لها الاستمرارُ في هذه المَهمّةِ النبيلةِ، ووصلنا مِن خلالِها عملَيْنِ وحيدَيْنِ فقط صدرا عن دار الكتب عام ٢٠٠٣م، هما: ديوان عبيد بن الأبرص، وديوان عامر بن الطُّفيل، بتحقيق تشارلز ليال، كلٌّ منهما في مجلدٍ منفصلٍ.

أمَّا فيما يخصُّ عملَها في إخراجِ ديوانِ عبيدٍ، فإنّه تمثّلَ في الآتي:

١- تقديمٍ للنشرة العربية للديوان: وقد قام به الدكتور محمد عوني عبد الرءوف، ويقع في ٤ صفحات (ص٧ - ١٠).

٢- ترجمة تصدير ليال للديوانَين: قامت بالترجمة الدكتورة سهير محفوظ، الأستاذ بكلية الألسن ـ جامعة عين شمس، ويقع في صفحتَيْنِ (ص١١- ١٢).

٣- ترجمة الأستاذة نفسِها لمقدمة ليال لديوان عبيد بن الأبرص، وتقع في ٢٢ صفحة (ص١٣- ٣٤).

٤- ترجمة تعليقات التحقيق إلى العربية على مدار الديوان كُلّه، مع الإبقاء على ترقيم ليال لصفحات الديوان.

٥ – ترجمة الفهارس الأربعة التي وضعها ليال للديوان: (القوافي، وأسماء الأعلام، الكلمات المختارة، المواقع الجغرافية).

٦- ترجمة قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها ليال.

٧- إرفاق نصّ الترجمة لديوان عبيد، والتي قام بها ليال.

هذا كلُّ ما قامت به اللجنةُ مِن جُهدٍ يُحسب في أغلبِه لها لولا بعضُ الهَنّاتِ التي وقعت فيها، والتي تتمثّل أوّل ما تتمثّل في إغفالُ قائمة التصويبات؛ فقد نبّه تشارلز ليال في تصدير الديوانِ إلى ضرورةِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرجوعِ إلى قائمة التصويبات والإضافاتِ (ص١٢٩ – ١٣٤) لتصحيح الأخطاء الواردةِ بالمتنِ.

The Editor begs those who may peruse the volume to turn first to the list of *Emendanda et Addenda* at pp. 129—134, and to make the corrections and note the additions there indicated before using the book.

«يوجه المحقّق عنايةَ القارئ عند الشروعِ في قراءةِ هذا الكتابِ أنْ يُطالعَ أولًا قائمةَ التصويبات والإضافات، من ص١٢٩ إلى ص١٣٤؛ ليصحّحَ بها مَا قد يُصادفه من أخطاء طباعية»

وقد كانَ مِن المتوقّع أنْ تتلافى اللجنةُ هذه الأخطاء الطباعية وتثبتَ هذه التصويبات في مكانِها الطبيعي مِن المتنِ، لاسيّما وقد نُشرت هذه الترجمةُ عام ٢٠٠٣م، ولدينا مِن إمكانيات العصر مَا يؤهلنا لذلك. أو كان مِن المتوقّع أنْ تأتيَ بقائمة التصويبات في نهاية الكتابِ كما فعل ليال في نشرتِه. لكنّ هذا لم يحدث؛ حيث ارتضت اللجنةُ أنْ تكتفيَ بترجمة التعليقات الموجودة في الهامش، دون إعادة كتابة النصِّ المُحقّق وتصويب الأخطاء الواردةِ فيه، ولم تأتِ في الوقتِ نفسِه بقائمة التصويبات كما فعلَ ليال[1]!!

١ – هذا بالإضافة إلى مجموعةٍ مِن الأشياء ربما تختلفُ وجهة الأنظار فيها، مثل: اكتفائها بالترجمة الحرفية لتعليقات ليال، دون الوقوف موقف الناقد أو المصحح لما وردَ في نشرة ليال من أوهام. وعدم ذكرها لقائمة الاختصارات التي أتى بها ليال في بعد تصدير الديوان، وخطأها في افتتاحية الكشافات التحليلية (وقد أسموها بالفهارس)؛ حيث ذكرت أن كلمات القوافي قد رُتّبت أبجديًّا، والناظر إليها يجدها قد رُتبت هجائيًّا، وأخيرًا تكرارها لجهودٍ مضت في ترجمة المقدمة الفنية للديوان، والتي قام بترجمتها ترجمةً متقنةً الدكتور حسين نصّار في مطلع نشرتِه للديوان.